كوردستان المستقلة

خطوة محسوبة أم قفزة في المجهول

علاء الدين الخطيب

دراسة حول الإعلان عن الاستفتاء على استقلال إقليم كوردستان العراق، من حيث الظروف الداخلية والإقليمية والدولية، والسيناريوهات المتوقعة مستقبلا.

دراسات سياسية واجتماعية

بيت السلام Peace House

مركز أسبار

2017/09/06

كوردستان المستقلة خطوة محسوبة أم قفزة في المجهول

المحتويات

Contents

1 مقدمة 3
2 نظرة تاريخية مختصرة 3
2.1 الكورد 3
2.2 تركيا وإيران 5
3 الوضع الإقليمي 5
4 وضع إقليم كوردستان العراق 6
4.1 النفط والغاز في كوردستان 6
4.2 الوضع الاقتصادي في الإقليم 8
4.3 علاقات إقليم كوردستان الاقتصادية 10
4.4 الوضع السياسي 10
5 إعلان استقلال كوردستان 11
5.1 مقدمة 11
5.2 استفتاء استقلال كوردستان 2005 12
5.3 استفتاء استقلال كوردستان 2017 12
5.4 وجهة النظر الكوردية الرسمية الداعمة للاستفتاء 14
6 المواقف حول الاستفتاء 15
6.1 المواقف الكوردستانية السياسية من الاستفتاء 15
6.2 المواقف الإقليمية 15
6.3 الموقف الإسرائيلي 16
6.4 الموقف الدولي 16
7 المصالح الدولية حول إقليم كوردستان 16
7.1 أهمية إقليم كوردستان واستفتاء الاستقلال 16
7.1.1 الأهمية الاقتصادية 16
7.1.2 الأهمية السياسية والمعنوية 17
7.1.3 الأهمية العسكرية 17
7.2 المصالح التركية 18

7.3 المصالح الإيرانية 18
7.4 المصالح الأميركية 18
7.5 المصالح الروسية 19
8 السيناريوهات المستقبلية 20
8.1 سيناريو المراوغة 20
8.2 السيناريو التصادمي 21
8.2.1 الرد التركي 21
8.2.2 الرد الإيراني 21
8.2.3 رد الحكومة العراقية 22
8.2.4 الموقف الأميركي والأوروبي 22
8.2.5 احتمالية النزاع المسلح كنتيجة 22
8.2.6 النتائج الإقليمية والدولية 22
8.3 السيناريو المرن 22
8.3.1 الرد التركي 22
8.3.2 الرد الإيراني 23
8.3.3 الموقف الأميركي والأوروبي 23
8.3.4 نتائج السيناريو المرن 23
8.4 السيناريو المتفائل 23
8.5 سيناريو الحرب عن بعد 24
8.6 السيناريو العنيف 24
8.7 الخلاصة 24
9 كوردستان والحرب على الإرهاب وداعش 25
10 الخاتمة 26
11 المراجع 27
11.1 انقسام الإعلام العربي ما بين التيار القطري والسعودي في تناول موضوع كوردستان 29
11.1.1 التيار القطري 29
11.1.2 التيار السعودي 29

كوردستان المستقلة
خطوة محسوبة أم قفزة في المجهول

علاء الدين الخطيب

1 مقدمة

بعد إعلان اجراء استفتاء على استقلال كوردستان العراق في 25 أيلول/سبتمبر 2017، تنوعت ردود الأفعال السياسية، وكما هو متوقع كانت تركيا وإيران أكبر المعترضين علنا وسرا، والدول الكبرى لم تبد أي دعم، واكتفت بالكلام الديبلوماسي العائم، لكن الأميَل لمعارضة موعد الاستفتاء على الأقل، إن لم يكن الطرح بحد ذاته؛ إقليميا تنوعت المواقف حسب الصراعات الأساسية الموجودة بين دول الإقليم، جبهة السعودية ومصر والإمارات العربية المتحدة، أمام جبهة تركيا وقطر، وعلاقات الطرفين مع إيران. الجهة الوحيدة التي أبدت نوعا من التعاطف كانت إسرائيل؛ وقبل تجاوز هذه النقطة، لا أذكر إسرائيل هنا كنوع من الإدانة، فموافقة أو رفض إسرائيل مستقل عن الحمد أو اللوم.

قبل المتابعة أوضح أن نقاش هذا الموضوع يأتي من باب النقاش الموضوعي العلمي، ويحاول قدر الإمكان الابتعاد عن العواطف والمواقف المسبقة، وأيضا عدم الخوض في الأحقيات التاريخية وجدلها اللانهائي، وكذلك يحاول النقاش أن يقصي أيا من التعصبات القومية التي تسود منطقتنا، لأن التعصب يعمي العيون والعقل، فهذا التوضيح ضروري ضمن مأساة دوي مدافع التعصب العرقي والديني والطائفي الذي يسود منطقتنا وقراءتنا لذاتنا وللعالم.

2 نظرة تاريخية مختصرة

2.1 الكورد

لن ندخل في هذه الورقة المختصرة في واحدة من أعقد قضايا التاريخ المختلف عليها، وهي تاريخ الكورد، لكن إيراد مختصر تاريخي لا ينكره أحد في تاريخ الكورد سيفيد رؤيتنا للواقع الحالي.

كان للكورد دور مؤثر في الدولة الإسلامية في العصر العباسي، مثل كثيرين من القوميات الغير العربية، بعد أن زال احتكار السلطة العربي الذي أسسته الدولة الأموية؛ ثم كان أكبر ظهور لما يمكن أن نسميه دولة كوردية، بمعنى أن السلطة الحاكمة والعسكرية هي من الكورد، مع الدولة الأيوبية التي أسسها صلاح الدين الأيوبي، بعدها تقلبت موازين القوى من مصر إلى الشام إلى العراق، خصوصا بعد اجتياحات المغول والتتار، خلال تلك المرحلة كان العثمانيون يتحركون في الشمال، تركيا حاضرا، على حساب البيزنطيين، وفي طريق تأسيس سلطنتهم التي ستهيمن على المنطقة لقرون، اصطدموا مع قوى كوردية وغير كوردية، لكنهم بالنهاية استطاعوا تأسيس السلطنة العثمانية القوية المرهوبة الجانب، وخلال قرون حكمهم غالبا ما اصطدموا بجماعات كوردية، وقابلوهم إما بالحرب والعنف، أو باللين والسياسة، فالدولة العثمانية كانت دائما مشغولة بحروب خارجية مصيرية،

مع القيصر الروسي في الشمال، و في الشرق والجنوب مع الدول المتعاقبة على حكم بلاد فارس، إيران حاليا، منذ الصفويين، ومع الأوروبيين في الغرب الذين بدؤوا يؤسسون دولهم القومية.

من ناحية ثانية غالبا ما اصطدم الكورد مع الدول المتوالية التي حكمت إيران الحالية وجوارها، منذ الصفويين، ومن تلاهم، الأفشاريون، القاجاريون؛ كانت هذه الدول أيضا مشغولة بحروب مستمرة مع العثمانيين في الشمال والغرب، مع الروس في القوقاز، ومع قبائل وسط آسيا وخاصة الأفغان في الشرق.

فمنذ القرن الرابع عشر ميلادي إلى وقتنا الحالي، كانت العديد من الأقوام والأعراق، ومن بينهم الكورد، الذين كانوا منتشرين ما بين شمال، ما يسمى حاليا، إيران وجنوبي القوقاز وأرمينيا وجورجيا، وصولا لشرق وجنوب تركيا، وشمال العراق وسورية، في قلب صراع مستمر بين دول كبرى، خاصة دول إيران و الدولة العثمانية بالإضافة للروس؛ وقد حاول الكورد عدة مرات التخلص من هيمنة الآخرين عليهم، من خلال الصدامات المباشرة، أو عقد الصفقات والتحالفات ما بين الدول الكبيرة المتصارعة، لكن بالمحصلة دخلوا القرن التاسع عشر دون تحقيق أي استقلال فعلي عن الدول الإقليمية الكبرى. يمكن القول إن هذه القرون الطويلة، منذ نهاية العصر العباسي إلى القرن التاسع عشر كانت صراع قوى متنوعة، لكن ليس بتلك الصبغة العرقية الواضحة، فمن سيطر على إيران الحالية، بدءا من الصفويين لم يكونوا أساسا من تلك المنطقة، والعثمانيون أيضا لم يكونوا من تركيا الحالية، وحتى بين الكورد هناك خلاف مثلا على كون كريم خان زند، مؤسس الدولة الزندية في إيران، من أصل كوردي.

تعرض الكورد خلال هذه القرون الطويلة لعدة مآسي جماعية، وحملات نفي وترحيل، خاصة وأن العثمانيين والقاجاريين حكام إيران قد وضعوا حدا نهائيا لحروبهم ضد بعض، وتوافقوا على التعاون الكامل لقمع أي حركة استقلالية ضمن دولتيهما من أي جماعة كانت.

أول ظهور لما يمكن تسميته القومية الكوردية بالمفهوم الحديث، كانت مع الشيخ عبيد الله نهري في نهاية القرن التاسع عشر، حيث طالب الكورد كقومية بالاستقلال أو الإدارة الذاتية، ولكن السلطان عبد الحميد استطاع احتواء الحركة، ما بين الوعود المغرية والشدة. بعد الحرب العالمية الأولى تحرك الكورد مرة أخيرة بقوة مستغلين ضعف تركيا بعد الحرب، وبدعم من إيران وبريطانيا، لكن حزب تركيا الفتاة الحاكم استطاع قمع الحركة الكوردية، بعد صدامات متوالية استمرت إلى ثلاثينات القرن الماضي، ويورد العديد من المصادر أن الحكومة التركية نفت حوالي 300 ألف كوردي، إلى مقاطعة أورفا.

كانت حالة الكورد الموزعين لقبائل ضمن الدول الإيرانية منذ القرن السادس عشر، مثل حالهم تحت حكم الدولة العثمانية، وإن كانت نسبيا أقل حدة ودموية. حاول كورد إيران بعد نهاية الحرب العالمية الأولى الثورة، وتأسيس كيان مستقل، وبدعم تركي، لكنه بالنهاية فشل.

بعد الحرب العالمية الثانية، انتقلت الحركات الكوردية إلى مرحلة جديدة في سبيل الحصول على حقوق الكورد القومية في تركيا وإيران والعراق وسورية، وقد كانت أعنف المواجهات في تركيا والعراق مقارنة بإيران وسورية.

استطاع كورد العراق الحصول على حكم ذاتي ضمن دولة العراق بعد الغزو الأميركي 2003، في المنطقة المسماة "كوردستان العراق". وقد حاولت حكومة الإقليم تمييز نفسها عن الحكومة المركزية في بغداد، واستطاعت تحقيق قفزة اقتصادية جيدة خلال السنوات العشر الأخيرة، مستفيدة من ارتفاع أسعار النفط، وفتح باب الاستثمار الأجنبي، وتأسيس علاقات اقتصادية جيدة مع دول الجوار، خاصة مع تركيا.

2.2 تركيا وإيران

اشتعلت أول حرب بين الامبراطوريتين العثمانية والصفوية عام 1514 في معركة جالدران، واستمرت الحروب متقطعة بين الطرفين 300 سنة، خلال فترة الصفويين ثم الأفشاريين ثم القاجاريين[1]، حتى أنهما خاضا حربا استمرت 23 سنة ما بين عامي 1532 و1555، كانت آخر حرب بين الدولتين القاجارية والعثمانية خلال الفترة 1821 و1823، بعد تلك الحرب استطاع الجاران اللدودان تأسيس سلام بينهما، وفق اتفاقيتي أرزوروم (1823، 1847)، بوساطة روسية بريطانية؛ ترسخ السلام بين الطرفين، عبر معاهدة الصداقة عام 1926، والتي تضمنت مبادئ حول الحيادية وعدم ممارسة أعمال عدائية ضد بعضهما البعض، والأهم التعاون بين الطرفين، لمستوى اتخاذ عمل مشترك، ضد أي مجموعة تحاول زعزعة السلام والاستقرار في أحد البلدين، أو تغيير حكومته، وهذا البند كان بعمقه موجها ضد الأكراد؛ بعد الحرب العالمية الثانية وانضمام الطرفين للمعسكر الغربي سادت العلاقة أجواء إيجابية؛ بعد الثورة الإيرانية ووصول الخميني للحكم في إيران، سادت البرودة بين الدولتين، لكن بدون صدامات حقيقية، لكن الدفء عاد للعلاقات بين الطرفين، مع وصول حزب العدالة والتنمية للسلطة في تركيا، فترسخت العلاقة السياسية، وتوسعت العلاقات الاقتصادية بين البلدين، وأصبح الطرفان شركاء تجاريين كبيرين، بقيمة تبادل تجاري تجاوزت الخمسة عشر بليون دولار.

3 الوضع الإقليمي

بعد بدء الثورات العربية، انتقلت المنطقة برمتها إلى مرحلة جديدة لم يشهدها تاريخها سابقا، فقد تداخلت الخيوط والمصالح، وتزعزعت موازين القوى، وتغيّرت التحالفات والصراعات. فأكبر قوتين في المنطقة يشكلان هماً كبيرا لكوردستان العراق، وهما إيران وتركيا، يرتبطان بعلاقات معقدة عميقة، فمن ناحية يتصارعان في سورية من جهة دعم أو رفض النظام الأسدي، ومن ناحية ثانية يملكان أفضل علاقات تجارية ثنائية في منطقة الشرق الأوسط ووسط آسيا، وكلاهما على خلاف جدي مع السعودية، حتى لو لم يكن الخلاف التركي السعودي بحدة الصراع الإيراني السعودي.

من ناحية ثانية تخوض القوى الدولية الكبرى حربا متحكم بها عن بعد فوق الأرض السورية، منذ سبع سنوات، وقد استخدم الروس والأميركيون ورقة الكورد السوريون، في عدة مفاصل خلال هذا الصراع، وضد الإرادة التركية. الأميركيون والغربيون خاصة يناورون بالورقة الكوردية مع الحكومة التركية منذ عقود طويلة، فهم يتعاطفون مع القضية الكوردية إعلاميا وأحيانا سياسيا، لكنهم بنفس الوقت هم حريصون على شراكتهم الاستراتيجية، التي لا مناص منها، مع تركيا العضو الأساسي

[1] مما يلفت النظر هنا أن أيا من مؤسسي وحكام هذه الدول ليس من أصل فارسي، بل من أصول تركمانية متنوعة، وأحيانا مختلطة مع أصل كردي عند إسماعيل الصفوي مؤسس الدولة الصفوية.

بحلف الناتو، والبوابة والجسر الأهم لأوروبا مع الشرق والشرق الأوسط؛ أما الروس فقد كان تعاملهم الإيجابي مع الكورد مصلحيا خلال فترة الأزمة الهوجاء بين بوتين وأردوغان في نهاية العام 2015.

كان ظهور داعش في العراق وسورية، وتمددها المفاجئ في العراق ثم سورية، واقترابها من حدود كوردستان العراق، ومناطق الكثافة الكوردية في سورية، أحد أهم التحديات التي واجهت الأحزاب الكوردية في العراق وسورية. وقد كان للطرفين دور أساسي وكبير في لجم توسع داعش، وكانوا الطرف الأقدر على إلحاق خسائر عسكرية حقيقية بداعش على الأرض، خلال السنين الأربعة الماضية.

4 وضع إقليم كوردستان العراق

شهد الإقليم استقرارا ونموا اقتصاديا معقولا، خاصة إذا قورن ببقية أقاليم العراق، حيث امتلكت حكومة كوردستان الإقليمية عمليا سلطة شبه كاملة على الإقليم، فرغم أن الاتفاقيات الرسمية مع الحكومة المركزية في بغداد تقتضي أن العلاقات الدولية والأمن القومي، هي من اختصاص بغداد، إلا أن الإقليم عمليا له سلطة أمنية وعسكرية مستقلة، كما أن حكومة الإقليم ميّزت نفسها عن بغداد بعلاقاتها الديبلوماسية الغير رسمية مع العديد من الدول.

من الصعب تعريف الإقليم، خاصة وأنه ما زال في خلاف مع بغداد حول الحدود والأقاليم التابعة له، لكن وفق الحكومة الإقليمية، إقليم كوردستان يقوم على مساحة 40,643 كيلو متر مربع، تضم محافظة دهوك بحدودها الإدارية الحالية ومحافظات كركوك والسليمانية وأربيل وأقضية عقرة والشيخان وسنجار وتلكيف وقرقوس ونواحي بزمار وبعشيقة واسكلي كلك من محافظة نينوى وقضائي خانقين ومندلي من محافظة ديالى وذلك بحدودها الإدراية قبل 1968[2]؛ ويضم الإقليم حوالي 5.3 مليون نسمة، من بينهم 2.1 مليون قوة عاملة.

4.1 النفط والغاز في كوردستان

يعتبر النفط والغاز الطبيعي في كوردستان، من أهم مقومات البنية الاقتصادية للإقليم، وهو أيضا من أهم مواضيع الخلاف مع الحكومة المركزية في بغداد، وكذلك من العوامل الأساسية التي تزيد الاهتمام الدولي والإقليمي بما يحدث هناك. ما يزيد تعقيد المشكلة أن الحكومة الإقليمية تطالب بضم عدد من الأقاليم الأخرى خارج الحدود الرسمية المتفق عليها سابقا، وطبعا بغداد تعارض بشدة، فالمساحة التي يتم الكلام عنها غير متفق عليها أساسا، لكي يتم تقدير كمية الاحتياطيات من النفط والغاز؛ فمثلا إذا تم ترسيخ ضم كركوك ضمن الإقليم، فهذا سيؤدي لزيادة كبيرة في مخزون الإقليم. من ناحية ثانية لا توجد دراسات كافية علمية وتقنية عن كمية الاحتياطيات الفعلية في الإقليم لوحده، فالأرقام الحكومية الرسمية لأربيل عالية جدا، بينما تقدم عددا من المعاهد والمراكز المختصة العالمية تقديرات أقل بكثير.

[2] مشروع دستور إقليم كوردستان – العراق. الباب الأول – المبادئ الأساسية – المادة الثانية

حسب بيانات وزارة المصادر الطبيعية في حكومة الإقليم[3]، يحوي الإقليم كاحتياطيات، حوالي 45 بليون برميل نفط، و165 تريليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي؛ بلغ إنتاج النفط في الإقليم بنهاية عام 2016 أكثر من 600 ألف برميل يوميا، بعد أن كان لا يتجاوز 250 ألف برميل يوميا في العام 2013.

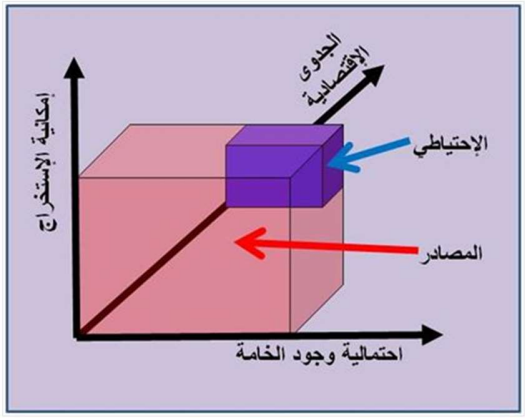

الشكل 1 مخطط توضيحي يبين الفرق بين المصادر الطبيعية للمادة الخام والاحتياطي من هذه المادة. تزايد قيمة المواصفات الثلاث المبينة وفق المحاور الثلاثية يزيد من احتمالية وجود احتياطي مؤكد قابل للاستخراج.

لن نخوض في التفاصيل التقنية لصناعة النفط والغاز الطبيعي، لكن لا بد بداية من توضيح الفرق بين الاحتياطيات والمصادر. يفرق الاختصاصيون بين المصادر Resources والتي تعني توفر الخامة الطبيعية بين الصخور تحت الأرض وبين الاحتياطيات Reserves والتي تعني أن مصادر هذه الخامة تحقق ثلاثة شروط: الأول، أن احتمالية وجودها عالية بما يكفي. والثاني أن الوصول لهذه الخامة ممكن تقنيا وجيولوجيا، والثالث أن أسعار مبيع هذه الكميات من الخامة تغطي تكاليف الاستخراج والتصدير (الشكل1).

تشير دراسة منشورة من قبل معهد أكسفورد لدراسات الطاقة، في جامعة أكسفورد[4]، إلى أن الكميات المعلنة حول الاحتياطي غير دقيقة تقنيا، وتخلص الدراسة إلى أن الرقم الأقرب للواقع هو 7.7 بليون برميل نفط، وتضم الاحتياطيات المؤكدة proved reserves والمُرجحة probable reserves والمصادر المحتملة contingent resources. بينما تقدر الدراسة أن الاحتياطيات المؤكدة والمُرجحة والمصادر المحتملة للغاز الطبيعي تصل إلى 19 تريليون قدم مكعب. وتتوقع الدراسة أن الفارق الكبير يعود إلى أن أرقام وزارة المصادر الطبيعية الكوردستانية، ووكالة المسح الجيولوجي الأميركية USGS تشمل المصادر الغير مؤكدة unproved resources وإمكانيات الاستكشاف المستقبلية. كذلك تشكك دراسة لوكالة الطاقة الدولية IEA، صادرة في 2012 حول أفاق الطاقة في العراق[5]، في الرقم 45 بليون برميل من النفط؛ بالواقع تشير هذه الدراسة أيضا إلى أن الأرقام المعلنة أيضا من قبل الحكومة العراقية حول الاحتياطيات في العام 2011 مبالغ بها أيضا.

---

[3] وزارة المصادر الطبيعية – حكومة إقليم كوردستان
/http://mnr.krg.org/index.php/en

[4] تقرير معهد أكسفورد لدراسات الطاقة – كانون ثاني/يناير 2016
Under the Mountains: Kurdish Oil and Regional Politics
Oxford Institute for Energy Studies ,ISBN 978-1-78467-049-8

[5] تقرير وكالة الطاقة الدولية "آفاق الطاقة في العراق" – 2012
International Energy Agency - OECD/IEA, 2012 - Iraq Energy Outlook

يمكننا بالمقارنة بين الأرقام الرسمية، والأرقام الواردة في هاتين الدراستين، وأرقام الشركات العاملة في كوردستان الاطمئنان لأرقام دراسة أوكسفورد أكثر حول الاحتياطيات المؤكدة.

المشكلة الثانية التي تتعلق بقطاع الطاقة في إقليم كوردستان، هي بيع النفط والغاز الطبيعي للخارج، فالخلافات محتدمة بين حكومة بغداد وأربيل منذ سنوات طويلة. فوفق اتفاقيات الحكم الفيدرالي الموقعة ما بين بغداد وأربيل، والدستور العراقي، حكومة بغداد هي صاحبة القرار في تجارة النفط والغاز الطبيعي، ومن يستلم أسعار المبيع الخارجي، وتحدد الاتفاقية حصة كوردستان من مرابح النفط بما يقارب 17% التي تقابل نسبة سكان كوردستان في العراق، بعد اقتطاع نفقات السيادة الوطنية (الشؤون الخارجية، الدفاع)؛ لكن حكومة كوردستان طالما اشتكت أنها لم تتلقى حصتها من بيع النفط كاملة، وخاصة في فترة حكم المالكي؛ ومما زاد المشكلة تفاقما من الناحية الاقتصادية، كان انخفاض أسعار النفط خلال السنتين الماضيتين، والصعوبات الاقتصادية الكبيرة أمام حكومة أربيل.

من ناحية ثانية المنافذ الوحيدة الممكنة لكوردستان لكي تصدر نفطها وغازها هي عبر تركيا وسورية إلى البحر المتوسط، وعبر الداخل العراقي إلى الخليج العربي؛ ومن الواضح أن الخيار السوري خارج قائمة الاحتمالات، على الأقل ضمن المدى المتوسط؛ والخيار الثالث عبر الداخل العراقي يزيد من سيطرة حكومة بغداد على مبيعات النفط، ولم يتبقى غير الخيار التركي.

العراق يمتلك أساسا خط نقل نفطي عبر تركيا يدعى خط كركوك-جيهان، ينطلق من حقول كركوك ويمر قرب الموصل ثم يدخل الأراضي التركية ليصل إلى ميناء جيهان التركي على البحر المتوسط؛ يبلغ طوله 970 كم وباستطاعة نقل تقارب 1,600,000 برميل نفط يوميا عبر أنبوبيه. وقد قامت حكومة كوردستان في عام 2013 ببناء خط نقل نفطي من حقل طقطاق يمر في قطاع خورمالة (ضمن حقل كركوك الكبير) ومقاطعة دهوق، ليصل إلى فيشخابور على الحدود التركية، حيث يرفد خط كركوك-جيهان. ووفق عقود خط كركوك-جيهان فأموال بيع النفط يجري تحويلها عبر البنوك التركية إلى الحكومة العراقية، وقد رفضت تركيا عدة مرات الأخذ بعين الاعتبار تحويل قيمة مبيعات النفط الكوردستاني إلى أربيل، خاصة وأن حكومة بغداد تستطيع عندها إثارة مشاكل ضخمة أمام الهيئات الدولية والشركات النفطية وحتى المشترين.

رغم أن قطاع الطاقة يشكل أحد أهم الموارد الاقتصادية في كوردستان، ومصدر جذب للاستثمارات الأجنبية، إلا أن ضعف التخطيط في هذا القطاع، وحاجة الحكومة للسيولة المالية أدخل أربيل في مآزق مديونية كبيرة مع شركات الطاقة الأجنبية، وأيضا مشاكل مع السكان بسبب المشاكل السياسية والتاريخية في المنطقة، وتهاون الشركات الأجنبية في تأمين شروط عمل جيدة، ونسبة معقولة من العمالة المحلية؛ كما أن الدعم الحكومي لأسعار المحروقات والكهرباء الغير مخطط على المدى البعيد أرهق الميزانية الإقليمية.

4.2 الوضع الاقتصادي في الإقليم

استطاع الإقليم تحقيق نمو اقتصادي ملفت منذ العام 2005، إذ تراوحت نسبة نمو الناتج المحلي الإجمالي ما بين 7 و10 بالمئة، وارتفعت معدلات المعيشة بشكل جيد، وأفضل من بقية أقاليم العراق، وتسارع بناء البنية التحتية في الإقليم، مما زاد من عوامل جذب الاستثمارات؛ بالواقع توجهت غالبية الاستثمارات الأجنبية ضمن الإقليم نحو قطاع النفط، ثم نحو قطاع البناء؛ وقد شهد الإقليم حتى العام

2015 واحدة من أعلى معدلات عمليات استكشاف النفط والغاز في العالم، حتى أن الرئيس العراقي السابق جلال الطالباني أشار في رسالة موجهة للشعب الأميركي[6] عام 2006 إلى وجود 2000 مليونير في مدينة السليمانية في كوردستان بعد أن كانوا 12 مليونير فقط قبل 2003.

لكن هذ النمو الاقتصادي عاد للتباطؤ بسرعة منذ العام 2015، حتى أن شبكة رووداو نقلت على موقعها الالكتروني في خريف 2016 تقارير تؤكد أنه لأول مرة تنخفض مستويات المعيشة في كوردستان عن بقية العراق[7]. كذلك فقد ارتفعت نسبة من هم تحت خط الفقر[8] من 3% في العام 2013 إلى 12% في العام 2015، وهي أعلى منها في العام 2007 حين كانت 7%؛ وتشير بعض التقديرات إلى ارتفاع مديونية حكومة الإقليم إلى 18 بليون دولار[9]،

أوردت عدة دراسات محلية ودولية أسبابا مختلفة لهذا الركود، والتي يمكن اختصارها بالتالي:

1. انخفاض أسعار النفط منذ العام 2015 بشكل دراماتيكي؛
2. الخلافات المتزايدة مع حكومة بغداد حول الكثير من الإشكالات الأساسية، ومن أهمها حصة الإقليم من أرباح النفط؛
3. عدم وجود انسجام سياسي بين الحزبين الكورديين الكبيرين، الحزب الديمقراطي الكوردستاني برئاسة مسعود البارزاني، رئيس الإقليم حاليا، والاتحاد الوطني الكوردستاني برئاسة جلال الطالباني الرئيس العراقي السابق؛
4. التوسع السريع لداعش، ووصولها إلى جنوب الإقليم، مما اضطر الإقليم لخوض حرب طويلة ومكلفة لردع توسع داعش وتأمين الحدود؛
5. تراجع الاستثمارات الخارجية في الإقليم؛
6. يضيف البعض أن عدد اللاجئين في الإقليم، حسب بعض الأرقام وصل 1.8 مليون[10]، من بقية العراق وسورية شكل عبئا إضافيا على الإقليم.

يمكن إضافة أسباب أخرى جوهرية، تماثل بعمقها مشاكل غالبية الدول النامية، ودول المنطقة والعراق عموما، وهي:

- عدم وجود تخطيط بعيد المدى للمستقبل، يشمل كافة مناحي الحياة البشرية والاقتصادية والبيئية؛ بل اعتمد الإقليم على توفر جو سياسي دولي وإقليمي داعم ساد منذ العام 2005، واعتمد بشكل كبير على إيرادات النفط والغاز، وتدفق الاستثمارات الأجنبية. أي أنه بطريقة

---

[6] رسالة الرئيس العراقي السابق جلال الطالباني إلى الشعب الأميركي، 2006.
http://ekurd.net/mismas/articles/misc2006/9/government780.htm

[7] تقرير شبكة رووداو تحت عنوان "مستويات المعيشة في كوردستان أقل منها في بقية العراق لأول مرة"
http://www.rudaw.net/english/kurdistan/31082016

[8] تقرير عن كوردستان العراق بعنوان "تقرير 2016 عن كوردستان العراق: الركود الاقتصادي الكبير Iraqi Kurdistan Economic Report 2016: Kurdistan's Great Recession"
http://www.marcopolis.net/iraqi-kurdistan-economic-report-2016-kurdistan-s-great-recession.htm

[9] تقرير مجلة المونيتور الفرنسية في بداية 2016 بعنوان: هل يسير إقليم كوردستان العراق نحو الإفلاس
http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2016/01/turkey-iraq-kurds-cash-crisis-derail-battle-against-isis.html

[10] نعتقد أن هذا الرقم فيه مبالغة كبيرة من قبل حكومة كوردستان مقارنة مع أرقام رسمية أخرى.

أو أخرى حاكى تجربة دول الخليج العربي في فورة النفط منذ السبعينات؛ لكن كون هذه الدول هي دول مستقلة، وتتمتع بالحماية الدولية والغربية خاصة، وتشكل عصب أساسي لسوق الطاقة فقد استطاعت الاستمرار، وتمكنت بعد عقود من استيعاب ضرورة وجود تخطيط استراتيجي وموارد اقتصادية مستقلة عن النفط والغاز الطبيعي؛ إقليم كوردستان لم يستفد من هذه التجربة ووقع في نفس الخطأ.

- سوء الإدارة وانتشار الفساد هو مشكلة مقيمة في دول الشرق الأوسط، ولم يستطع إقليم كوردستان التخلص منها، رغم أن معدلات الفساد فيه أقل منها في بقية العراق، فوفق تقديرات وحدة الاستخبارات الاقتصادية (EIU) للعام 2014، معدل الفساد في الإقليم يقع حول المرتبة 35 من أصل 100، حيث تشير المرتبة 0 إلى فساد كامل، والمرتبة 100 إلى عدم وجود أي فساد؛ وهو بطبيعة الحال أفضل من مرتبة بقية العراق التي كانت بالمرتبة 10، لكن مرتبة الإقليم تبقى منخفضة مقارنة بدول الإقليم الأخرى[11].

4.3 علاقات إقليم كوردستان الاقتصادية

من الصعب الحصول على بيانات مستقلة حول العديد من المؤشرات حول كوردستان، كون الإقليم ما زال رسميا جزءا من العراق، لكن غالبية المراجع والدراسات تؤكد أن أكبر الشركاء الاقتصاديين لكوردستان هم تركيا ثم إيران، يليهم بقية دول المنطقة والدول الغربية[12]. تشير عدة تقارير إلى أن حوالي 75% من شركات البناء في كوردستان التي تتضمن بناء الطرق والأنفاق والسدود والأبنية السكنية والمطارات هي شركات تركية[13]. وما زال العراق، متضمنا إقليم كوردستان من الشركاء التجاريين الأساسيين لتركيا، وفق جمعية المصدرين التركية.

4.4 الوضع السياسي

تشكل حتى الآن كوردستان العراق إقليما ذا حكم ذاتي ضمن الدولة العراقية، وقد تمتع الإقليم بعلاقات سياسية وتجارية جيدة مع محيطه الإقليمي، خاصة مع تركيا وكذلك مع إيران، ومع كثير من دول العالم، خاصة الدول الغربية، فللإقليم مكاتب تمثيل ديبلوماسية في عشر دول أوروبية بالإضافة للولايات المتحدة الأميركية وروسيا وتركيا وإيران؛ ويوجد في الإقليم مكاتب تمثيل ديبلوماسي لثلاث وثلاثين دولة، الدول العربية الممثلة بينها هي السعودية، الإمارات العربية المتحدة، الكويت، مصر، والسودان. لكنه يبقى ضمن القوانين والعلاقات الدولية الرسمية إقليما ضمن العراق وليس دولة مستقلة.

رغم أن الإقليم حقق مستوا مقبولا من الديمقراطية والحياة البرلمانية مقارنة بالبلاد العربية، إلا أنه ما زال يعاني أيضا من مشاكل سيطرة العلاقات العائلية والقبلية؛ ولعل النمط القبلي أكثر حضورا في مقاطعتي أربيل ودهوك منه في السليمانية، لكن تبقى سيطرة العائلات التقليدية والتاريخية ذات سلطان

---

[11] دراسة بعنوان "إقليم كوردستان العراق: نظرة عامة على الفساد ومكافحة الفساد Kurdistan Region of Iraq: Overview of corruption and anti-corruption " – 24 أذار/مارس 2015 – عن مركز U4 لمصادر مكافحة الفساد U4 Anti-Corruption Resource Centre- النرويج

[12] تقرير صادر عن مجلس كردستان الاستثماري
http://www.kurdistaninvestment.org/trade_industry.html

[13] مقال صادر عن مجموعة Invest in Group (IIG) الاستشارية، ذات النشاط الواسع في كوردستان. شباط/فبراير 2015
/http://investingroup.org/analysis/195/turkey-the-kurdistan-regions-largest-trading-partner-kurdistan

في الإقليم، فالعملية الديمقراطية ما زالت تواجه ثقل العلاقات القبلية والعائلية، مما يعيق تقدمها وترسخيها.

سيطر الحزب الديمقراطي الكوردستاني، والاتحاد الوطني الكوردستاني، تقليديا على الحياة السياسية في الإقليم منذ إعلان استقلاله كإقليم حكم ذاتي في العراق بعد حرب الكويت 1991، ورغم الخلافات الضئيلة الأيدلوجية بين الحزبين الكبيرين، و رغم أنهما يشكلان تحالف مصلحة للسيطرة على السلطة السياسية، إلا أنهما على خلافات جذرية تصل لدرجة مراقبة الحدود بين محافظتي السليمانية وأربيل، والحزبان ما زالا محكومان بالعرف العائلي لعائلتي بارزاني وطالباني؛ شهدت انتخابات 2013 صعود حزب معارضة للتحالف الحاكم اسمه حزب التغيير أو حركة گوران[14]، الذي تركزت نجاحاته في مقاطعة السليمانية، حيث تتراجع كثيرا سيطرة العلاقات القبلية.

5 إعلان استقلال كوردستان

5.1 مقدمة

لم يكن إعلان الاستفتاء حول استقلال كوردستان مفاجئا، فحلم الدولة الكوردية المستقلة لم يغادر عقول وقلوب الكثيرين من الشعب الكوردي، وإعلان الرغبة السياسية في الاستقلال لم يكن سريا؛ لكن الموعد المعلن في 25 أيلول/سبتمبر 2017 كان صادما للعديد من الحكومات الإقليمية والدولية؛ فالمنطقة عموما تمرّ بأسوء مراحل التوتر والأزمات ما بين الدول المنطقة، وعلى ساحتها صراع مشتد بين الدول الكبرى أيضا.

لن نتعرض بعمق ضمن سياق هذا النقاش للناحية القومية والعاطفية لدى الشعب الكوردي، والتي هي مشاعر عميقة متأصلة ما بين الكورد، أصحاب التاريخ الحضاري الضارب في القدم في هذه المنطقة؛ فهذه المشاعر والآمال هي المحرّك الأساسي لغالبية من الكورد، ولا يوجد بالواقع ما هو محط اختلاف ليتم نقاشه ضمن هذا السياق، فالتمسك بأمل الدولة الكردية وامتلاك الكورد لقرارهم، والتحرر من الظلم الواقع عليهم تاريخيا وحاضرا، هو حق إنساني طبيعي لا يمكن مجادلته؛ كذلك لن ندخل في جدالات الحقوق التاريخية ومن كان قبل من، فهذه دوامة غير ذات معنى لا يمكن معها الوصول لنتيجة أو اتفاق أو حقيقة.

[14] حركة گوران أو حزب التغيير هو حزب علماني يعارض تحالف الحزبين الكبيرين، ويدعو لمحاربة الفساد، ولقد حقق تقدماً في انتخابات برلمان كوردستان لسنة 2013 وذلك عند حصوله على 24 مقعداً متقدماً على حزب الإتحاد الوطني الكوردستاني.

الشكل 2 خريطة تبين حدود إقليم كوردستان وفق اتفاقية 1991، ومناطق سيطرة الإقليم حاليا، والمناطق التي يطالب بها.

لكن النقاش سيتركز على الظروف الموضوعية الداخلية والإقليمية والدولية، والأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية لهذا الإعلان، من وجهة نظر محايدة قدر الإمكان، وبالاعتماد على حقائق ليست محط خلاف بين الجهات المتداخلة والمتخالفة حول هذا الإعلان.

5.2 استفتاء استقلال كوردستان 2005

حصل أول استفتاء لاستقلال كوردستان عن العراق في العام 2005 بالتزامن انتخابات البرلمان العراقي والانتخابات في كردستان، وكان استفتاء غير رسمي؛ لكن نتيجته كما كان متوقعا غالبية ساحقة أيدت الاستقلال وقتها، ووصلت نسبة المؤيدين للاستقلال إلى 98.88%.

5.3 استفتاء استقلال كوردستان 2017

صدر البيان التوضيحي التالي من رئاسة إقليم كردستان:

"قرر السيد مسعود البارزاني رئيس إقليم كوردستان الخميس 2017/6/8، وبالاستناد إلى الأمر الإقليمي رقم 106 الصادر في 2017/6/8، إجراء الاستفتاء في يوم 2017/9/25، ولتنفيذ هذا القرار أوصى سيادته المفوضية العليا

المستقلة للانتخابات والاستفتاء بإجراء عملية الاستفتاء لتنفيذ وممارسة حق تقرير المصير لشعب كوردستان. في هذا الأمر الإقليمي قرر السيد رئيس الإقليم إجراء الاستفتاء في إقليم كوردستان والمناطق الكوردستانية خارج إدارة الإقليم، ويتضمَّن هذا الاستفتاء الجواب على سؤال واحد هو: ***هل توافق على استقلال إقليم كوردستان والمناطق الكوردستانية خارج إدارة الإقليم وإنشاء دولة مستقلة****. وقد تم تكليف المفوضية العليا المستقلة للانتخابات... الخ"*[15]

تقنيا يحوي القرار عدة نقاط أساسية تحمل العديد من نقاط الخلاف مع المحيط الإقليمي، وربما الداخلي أيضا وهي:

1. الاستفتاء هو حول سؤال واحد بسيط الشكل، يحتمل الجواب بنعم أو لا فقط؛ وهذا بحد ذاته إشكالية أساسية، فمن الطبيعي والمطلوب أن تكون أسئلة الاستفتاءات الشعبية بسيطة شكلا وواضحة وتحتمل الجواب بنعم أو لا، لكن الموضوع قيد الاستفتاء ليس بهذه البساطة، ووضع المواطن أمام خيارين فقط فيه شيء من الإجبار، فكما ظهر من استفتاء 2005، وكما هو متوقع الغالبية ستجيب بنعم، بناء على موقف عاطفي بحت، إن ذلك يشبه أن تسأل أي إنسان "هل تحب أهلك؟". كان من الممكن منح المُستفتَيين خيارات أكثر، ما بين إعلان الاستقلال، أو المطالبة بمزيد من الصلاحيات لحكومة الإقليم، شكل أقرب للكونفدرالية يمنح الإقليم سيادة اقتصادية أوسع (مثل أن تشمل سيطرة أكبر على تصدير النفط والغاز)، أو إعلان مرحلة انتقالية لعدة سنوات، أو المطالبة بلجان تحكيم دولية لحلّ الخلافات العالقة مع حكومة بغداد.

   قد يكون عدم منح خيارات أخرى للمواطنين، يعود لهدف سياسي تفاوضي، فكما صرح الرئيس البارزاني في لقائه مع الفورين بوليسي[16] في 15 حزيران/يونية 2017، أن الإقليم سيدخل بمفاوضات مع حكومة بغداد بعد الاستفتاء، وبناء على نتائجه، وبالتالي قد تكون نتائج الاستفتاء ورقة ضغط سياسي في هذه المفاوضات؛ ومن إجابته المقتضبة عن سؤال: هل ستكون مطالبكم أقل من السيادة الكاملة، قال إنه قرار الشعب وفق الاستفتاء حول الاستقلال. وضمن هذه الإجابة قد تقع منطقة تستطيع بها حكومة الإقليم التفاوض على فترة زمنية كحد أقصى من المرونة.

2. الاستفتاء يطال مناطق لا تتبع رسميا لحكومة إقليم كوردستان، وهي خارج حدود 1991، والتي ما زالت محل خلاف مع حكومة بغداد، رغم أن حكومة الإقليم تسيطر عليها عمليا. وحسب تصريح الرئيس البارزاني، في نفس المقابلة السابقة، فإن نتائج الاستفتاء ستؤخذ حسب المناطق الإدارية، فإن قررت أحد المناطق الغير تابعة رسميا للإقليم أن ترفض الاستقلال، فحكومة الإقليم ستحترم قرارها وتلتزم به.
3. أثار حزب التغيير المعارض إشكالية الشكل القانوني والدستوري للاستفتاء، حيث أن الانتخابات البرلمانية والرئاسية تأخرت سنتين عن موعدها، مما يعطل الصلاحية القانونية للمؤسستين لإجراء الاستفتاء[17].

---

[15] موقع رئاسة إقليم كوردستان: تصريح رئيس ديوان رئاسة إقليم كوردستان حول الأمر الإقليمي الصادر من قبل الرئيس بارزاني بشأن إجراء الاستفتاء
=http://www.presidency.krd/arabic/articledisplay.aspx?id=vgaX9pr4fcU

[16] مقابلة مع الرئيس مسعود بارزاني في حزيران/يونية 2017
/http://foreignpolicy.com/2017/06/15/masoud-barzani-why-its-time-for-kurdish-independence

[17] قناة الحرة: انقسام داخل كردستان العراق حول استفتاء تقرير المصير

4. كما يبدو فإن تحديد نتيجة الاستفتاء ستخضع لمبدأ الأغلبية المطلقة، أي 50%+1، حيث لم يصدر رسميا من حكومة الإقليم أي توضيح مخالف لذلك. والسؤال المحوري هنا: أليس موضوع استقلال إقليم كامل قرار استراتيجي هائل وحسّاس يحتاج لأغلبية مؤهلة، مثلا أغلبية ثلثي أو ثلاثة أرباع الأصوات؟ كما هي الحال في العديد من الدول الديمقراطية حين يطال الاستفتاء أو التصويت أمرا جوهريا مثل تعديل أساسي للدستور، أو بعض الأسس التي تقوم عليها الدولة.

5.4 وجهة النظر الكوردية الرسمية الداعمة للاستفتاء

المواقف السياسية الكوردية الداعمة للاستفتاء، تختلف قليلا من حيث التفاصيل، مع تنوع التوجهات السياسية، لكنها بالمحصلة العامة والنقاط الأساسية متفقة مع بعضها البعض؛ ولعل مقابلة الرئيس البارزاني مع الفورين بوليسي ([16])، والأسئلة المباشرة التي تم توجهيها له يمكن أن تشرح أهم مؤسِسات الدعوة للاستفتاء على استقلال الإقليم، والتي يمكن تلخيصها بما يلي:

- ينطلق الموقف الكوردي الرسمي، المؤيد للاستفتاء، كما يقول من موقف مبدئي متمسك بالحق الكوردي في تقرير مصيره، وإنشاء دولته المستقلة، فهو موقف أخلاقي عاطفي أولا، وحقوقي ثانيا من وجهة النظر الكوردية.
- يؤكد الموقف الرسمي الكوردستاني بأنهم لم يسعوا للانفصال عن العراق، رغم قناعتهم بالحق الكوردي، لكن سياسة حكومة بغداد اتجاه الإقليم منذ 2005، وخاصة خلال فترة حكم المالكي، دفعتهم دفعا للذهاب باتجاه الانفصال وإجراء الاستفتاء، ويعلقون فشل الدولة الاتحادية العراقية على حكومة بغداد.
- لا يوجد موقف متشنج كوردستاني رئاسي تجاه حكومة بغداد عموما، ولا اتجاه رئيسها الحالي حيدر العبادي، ويأملون بمفاوضات استقلال مثمرة، إن أتى الاستفتاء بنتائج داعمة للاستقلال.
- الحكومة الكوردستانية تأمل، إن أتى الاستفتاء لصالح الاستقلال، بعملية انفصال واستقلال عن العراق سلمية دون أي عنف.
- يعتبر الرئيس البارزاني أن التوقيت المقرر في 25 أيلول/سبتمبر 2017 هو الأمثل لإجراء الاستفتاء، بالرغم من كل الأزمات داخل الإقليم نفسه، والعراق والمنطقة عموما.
- يرى الرئيس البارزاني أن كل المشاكل الاقتصادية والسياسية مؤجلة لما بعد الاستفتاء، ولا يجب أن تكون عائقا أمام الاستفتاء الحلم.
- تعتمد حجة الموقف الكوردستاني المؤيد للاستفتاء، على الحجج الأخلاقية والقانونية والعاطفية، أمام المواقف الكوردية المعارضة، ومواقف حكومات العراق والدول المجاورة والدول الكبرى.
- سيتم قبول نتائج الاستفتاء وفق التوزيع الإداري، بمعنى إن قررت أحد المحافظات أو الأقضية المضافة للإقليم أنها تريد البقاء مع العراق، فحكومة الإقليم ستحترم ذلك.
- الاستفتاء ملزم للحكومة الكوردستانية لمتابعة العمل على تحقيق نتائجه، أي إن صوتت الغالبية بالإيجاب، فواجب الحكومة العمل على تحقيق الاستقلال بكل الوسائل الممكنة، ولا تملك صلاحية التراجع عنه.

---

https://www.alhurra.com/a/Kurdistan-referendum/387305.html

- في حال التصويت الإيجابي على الاستفتاء، ليس بالضرورة أن الإقليم سيعلن استقلاله فورا بعد صدور النتائج؛ بل سيتم تبني النتيجة من قبل حكومة كوردستان، والانطلاق لتحقيقها، بدءا من تحريك عملية التفاوض مع حكومة بغداد ودول الجوار والعالم.

باختصار لا يمكن من خلال التصريحات الرسمية العلنية، الوصول إلى قناعة بأن الرئاسة الكوردستانية والسياسيين المؤيدين للاستفتاء، يملكون خارطة طريق للتعامل مع الصعوبات الكبرى التي ستواجه الإقليم، خاصة مواقف حكومات دول الجوار والدول الكبرى، والمشاكل الاقتصادية العميقة، إن أتى الاستفتاء بنتائج إيجابية لصالح الاستقلال؛ فكل ما تم طرحه من حجج، رغم وجاهتها وأحقيتها أخلاقيا وديمقراطيا، تبقى خارج حلبات الصراع الدولية السياسية، كما ثبت لكل شعوب هذه المنطقة.

6 المواقف حول الاستفتاء

6.1 المواقف الكوردستانية السياسية من الاستفتاء

من الناحية الشكلية يبدو أن الحزبين الكبيرين الحزب الديمقراطي الكوردستاني، والاتحاد الوطني الكوردستاني مؤيدان للاستفتاء على الاستقلال، رغم الخلافات التاريخية بينهما. لكن العديد من التقارير الصحفية والتسريبات تشير إلى وجود خلافات ضمن القيادات السياسية للحزبين، حتى ضمن حزب الرئيس البارزاني الأكثر حماسا للاستفتاء. كذلك من الملفت للنظر عدم ظهور بيان أو كلام رسمي للرئيس العراقي السابق جلال الطالباني حول الاستفتاء.

حزب التغيير المعارض، أعلن معارضته لإجراء الاستفتاء في هذا الموعد، واحتج على عدم وجود بنية قانونية تشريعية ضمن الإقليم لإدارة هذا الاستفتاء، لأن الانتخابات البرلمانية والرئاسية معطلة منذ سنتين.

بكل الأحوال، مهما كانت المواقف المتحفظة أو الرافضة للاستفتاء ضمن القيادات السياسية الكوردستانية، يبقى الموقف المعلن للأطراف الأقوى سياسيا هو في دعم هذا الاستفتاء.

6.2 المواقف الإقليمية

عارضت حكومة بغداد إجراء الاستفتاء بشكل حازم، واعتبرت أنه غير قانوني ومخالف للدستور؛ كذلك أعلنت تركيا وإيران رفضهما ومعارضتهما للاستفتاء، وطبعا مواقف هذه الحكومات الثلاثة هي الأهم إقليميا بالنسبة لإقليم كوردستان، والأكثر تأثيرا من كل النواحي الاقتصادية والسياسية والجغرافية والسكانية وحتى المعنوية.

لم تعلن بقية حكومات المنطقة موقفا رسميا واضحا من الاستفتاء، وحتى الموقف المصري الذي أعلنه سفير مصر في بغداد بمعارضة أي إجراء يساهم في تقسيم العراق، لا يرقى لموقف رسمي من قبل الحكومة المصرية.

وإذا كان لنا أن نقرأ الإعلام المموّل من قبل حكومات الإقليم، كتعبير غير مباشر عن الموقف الرسمي، فيمكن القول إن المواقف منسجمة مع علاقة هذه الدول بتركيا، فالإعلام السعودي والمموّل سعوديا بقي ضمن منطقة الحياد من أزمة الاستفتاء، مع ميْل لاستقلال الإقليم؛ بينما حرص الإعلام المموّل قطريا على إبراز مشاكل وصعوبات الاستفتاء؛ بالواقع ظهرت بعض الأخبار التي تقول أن المملكة

السعودية تؤيد ضمنا استقلال الإقليم لكي تستطيع الوصول من خلاله إلى ورقة قوة أمام الدور القوي لإيران في الحكومة العراقية المركزية[18]؛ طبعا لا يمكن التحقق من صحة المصادر ولا صحة التسريبات، لكن ذلك يبقى منسجما مع العلاقة القوية التي تربط الرئيس البارزاني وحكومة الإقليم بالسعودية.

6.3 الموقف الإسرائيلي

أعلن رئيس حكومة الكيان الصهيوني نتنياهو أن إسرائيل ترحب بإعلان الاستفتاء، وطالبت إسرائيل بدعم هذا الاستفتاء تمهيدا لاستقلال الإقليم؛ لكن يبقى الموقف الإسرائيلي غير مؤثر وفق معادلات موازين القوى حول وداخل الإقليم.

طبعا وضع فرضيات نظرية المؤامرة الخيالية حول القوة الهائلة لإسرائيل واليهود أو الصهاينة، لن يقبل أن إسرائيل ليست ذات شأن مؤثر في أزمة إقليم كردستان، لكن موضوع المؤامرة الكونية يبقى خارج إطار هذه الورقة. واستغلال الموقف الإسرائيلي المؤيد لاستقلال كردستان العراق، من باب الشيطنة والتخوين هو أيضا عمل وتحريض شعبوي يفتقر للمبررات الموضوعية المثبتة.

6.4 الموقف الدولي

لم يصدر أي موقف دولي واضح التأييد لإجراء الاستفتاء حسبما هو مقرر، بالعكس كانت مواقف الدول الكبرى الولايات المتحدة وأوروبا وروسيا شبه رافضة للاستفتاء، على الأقل من حيث التوقيت كما أُعلن رسميا، مع أن أسباب الرفض أعمق من مجرد التوقيت. كذلك فإن الأمم المتحدة أعلنت رسميا أنها لن تتدخل في عملية الاستفتاء، ولم تقدم أي منظمة دولية رسمية عرضا للإشراف على الاستفتاء.

لا يبدو لحد الآن وقد تبقى ثلاث أسابيع على الاستفتاء المعلن، أن هناك تأييدا دوليا لإجرائه، مما يضع حكومة كوردستان أمام موقف خطير وصعب، ويحتمل الكثير من السيناريوهات.

7 المصالح الدولية حول إقليم كوردستان

تتشابك المواقف الدولية حول الاستفتاء وإقليم كوردستان، بقدر تشابكها واختلاطها ضمن منطقة الشرق الأوسط ككل، ويعود ذلك لأهمية الإقليم بحد ذاته، ولأهمية موقعه الجغرافي، وكذلك لأهمية الاستفتاء المعنوية.

7.1 أهمية إقليم كوردستان واستفتاء الاستقلال

للإقليم مزايا وأهمية كبرى ضمن منطقة الشرق الأوسط ودوليا، يمكن إيجازها بالنواحي التالية:

7.1.1 الأهمية الاقتصادية

يحوي الإقليم احتياطيات نفط وغاز طبيعي، وحتى بأدنى التقديرات، تؤهله لدخول سوق الطاقة الدولي بشكل مؤثر، فالإقليم يتفوق من حيث الاحتياطيات على بعض الدول الأعضاء في أوبك. كذلك

[18] الصحافة الإسرائيلية: السعودية دعمت استفتاء كوردستان مباشرةً ويمكن أن تدعمه دولٌ سُنيةٌ أخرى – شبكة رووادو
http://www.rudaw.net/arabic/kurdistan/120820176

فإن موقع الإقليمي ما بين إيران وتركيا والعراق يؤهله للعب دور هام في التجارة البينية، خاصة مع انطلاق مشاريع الصين في تنشيط اقتصاديات وسط آسيا، وإدارة خطوط التجارة البرية مع أوروبا.

بالنسبة لدول المنطقة، إقليم كوردستان كجزء من العراق يمثل واحدا من الشركاء الاقتصاديين المهمين بالنسبة لتركيا وكذلك لإيران؛ لكن بالنسبة لتركيا يشكل العراق أكبر مصدِّر للنفط إلى تركيا، حيث تزيد حصة النفط المستورد من العراق ككل عن 40% مما تستورده تركيا. لا يوجد بيانات رسمية كافية توضح حصة النفط القادم من إقليم كوردستان مقارنة بالنفط القادم من بقية العراق، لكن من المؤكد أنها نسبة كبيرة ومؤثرة. كما أن مستقبل التنقيب عن الغاز الطبيعي في كوردستان يضيف أهمية كبرى للإقليم بالنسبة لتركيا، والتي تعتبر بلدا فقيرا بموارد الطاقة المحلية.

7.1.2 الأهمية السياسية والمعنوية

للإقليم أهمية سياسية كبيرة في المنطقة من حيث الموقع الجيوسياسي ما بين أكبر وأقوى دولتين في الشرق الأوسط، تركيا وإيران، واللتان لا تخفيان استراتيجيتيهما بتوسيع تأثيرهما خارج حدودهما، وبنفس الوقت الدولتان اللتان استقرتا منذ بداية القرن التاسع عشر على تفاهم قوي بعدم الوصول إلى أي صدام مباشر فيما بينهما.

كذلك للإقليم أهمية سياسية كبيرة تتبع أهمية منطقة الشرق الأوسط، ضمن الصراع الدولي المتصاعد حولها منذ بداية الألفية والغزو الأميركي للعراق، ثم ما بعد الربيع العربي وتحرك كبرى الدول لضمان مصالحها ضمن هذه المنطقة. فضمن الصراع ما بين المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة مع اليابان وكوريا الجنوبية وأستراليا، وبين معسكر الصين وروسيا والدول الصاعدة اقتصاديا، تحولت المنطقة من شرق المتوسط إلى وسط آسيا، إلى ساحة صراع مفتوح وممتد، كما يبدو لسنين طويلة قادمة.

من الناحية المعنوية، يمثل الإقليم إن استقل شرارة قد تطلق أزمات كثيرة في المنطقة وصولا لوسط آسيا، وخاصة لدى بقية الشعب الكوردي الموزع ما بين إيران وتركيا وسورية، ولعل هذا هو هاجس تركيا الأساسي في موقفها من استقلال الإقليم، فالأزمة التاريخية الممتدة ما بين الأتراك والكورد ما زالت ساخنة ولم تهدأ في الداخل التركي، ولا يبدو أنها ستفعل في المستقبل القريب. بالنسبة لإيران لا توجد معطيات حقيقية تقول إن الكورد الإيرانيين يشكلون خطرا كبير على الاستقرار الداخلي في إيران، فالحكومات الإيرانية كانت أكثر مرونة وحنكة تاريخيا في إقامة علاقات تقارب مع الكورد الإيرانيين مقارنة ببقية دول المنطقة.

قد يتجاوز التأثير المعنوي لاستقلال الإقليم الشعب الكوردي، إلى بقية الشعوب التي تعيش معاناة الأقليات ضمن دول كبيرة، ومنها شعوب القوقاز في روسيا، وفي دول بحر قزوين وصولا لأسيا الوسطى، وحتى الصين نفسها، وقد كان تفجر شرارة الثورة التونسية درسا قاسيا لكل الدول؛ كيف يمكن لشرارة بسيطة أن تشعل الشارع في عدة دول أخرى بفعل تراكمي؛ قد يكون توقع هذا التأثير مبالغ به، لكنه احتمال قائم لا يفضله الروس بالذات.

7.1.3 الأهمية العسكرية

يشكل الإقليم حاليا نقطة استناد عسكرية قوية بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية، من حيث القواعد العسكرية، ومن باب محاربة الإرهاب المعلنة أميركيا في المنطقة؛ فالقوات الكوردية سواء البشمركة

التابعة لكوردستان، أو القوات الكوردية في سورية، هي الوحيدة التي أثبتت فعالية عسكرية على الأرض في هزيمة داعش وإيقاف توسعها، وهي التي تحوز على الثقة الأميركية أكثر من غيرها.

7.2 المصالح التركية

كما أشرنا سابقا، فلتركيا مصالح اقتصادية عالية الأهمية في الإقليم، سواء من حيث استيراد النفط والغاز الطبيعي، أو من حيث التبادل التجاري، أو من حيث الاستثمار التركي في الإقليم.

لكن الأهم بالنسبة لتركيا هو الأزمة الكوردية المستمرة والصعبة، فرغم أن حكومة كوردستان التزمت لحد بعيد بتجنب دعم أي فصيل كوردي تركي معارض، وتعاونت لحد كبير مع الحكومة التركية في هذا المجال، إلا أن ذلك لا يعني استعداد تركيا للقبول بدولة كوردية مستقلة على حدودها، قد تشكل مع الزمن محرضا إضافيا لكورد تركيا للمطالبة بحقوق أكثر، قد تصل للانضمام لهذه الدولة؛ وقد كان واضحا في سورية مدى الحساسية التركية حول القضية الكوردية.

7.3 المصالح الإيرانية

قد تكون أقل تخوفا من تركيا، من امتداد التأثير المعنوي والسياسي لدولة كوردية مستقلة على حدودها، لكن ذلك لا يلغي أن هذا التخوف موجود وقائم، خاصة وأن لدى إيران مشكلة تعدد القوميات أساسا.

الناحية الأهم بالنسبة لإيران هي ضعف وقوة حكومة بغداد المركزية، فقد بذل النظام الإيراني الكثير لدعم الحكومة العراقية وضمان موالاتها للسياسة الإيرانية، وهو غير مستعد للمغامرة بانهيار هذه الحكومة أو إضعافها أكثر مما هي ضعيفة أصلا. من ناحية ثانية يتخوف النظام الإيراني من دخول قوي للنظام السعودي في كوردستان[19]، باعتبار أن غالبية كورد العراق من المسلمين السنة، وأن إيران ستقف موقف العداء من الدولة الجديدة، وبالتالي ستمتلك السعودية ورقة قوة كبيرة على حدود إيران، سيما وأن الولايات المتحدة الأميركية، حليف السعودية الاستراتيجي، يملك علاقات وثيقة قوية مع الإقليم؛ قد تشارك تركيا إيران في هذا التخوف، لكن تركيا رغم عدم دفء علاقاتها مع الحكومة السعودية، إلا أنها لا ترى بنفوذ سعودي قوي في كوردستان تهديدا مباشرا لها.

7.4 المصالح الأميركية

تتبع الولايات المتحدة منذ اندلاع الثورات العربية، سياسة إدارة الأزمات[20] دون التورط المباشر في أي منها، وتكتفي بإدارة حركة حلفائها من بعيد، سواء بالترغيب أو الترهيب، ومنهم تركيا؛ فقد شهدت السنتان الأخيرتان توترا كبيرا مع تركيا، خاصة بعد رفض حلف الناتو دعم تركيا في أزمتها مع روسيا في نهاية العام 2015، ثم بعد محاولة الانقلاب العسكري في تركيا؛ وزاد التوتر توترا مع دعم

[19] قناة العالم الإيراني يشن حملة تشكيك حول علاقة السعودية والإمارات العربية المتحدة عبر كوردستان بداعش: " المهندس: قنصلا السعودية والإمارات في كردستان يدعمان "داعش""
http://www.alalam.ir/news/2003772

[20] دراسة " السياسة الأميركية ليست بحاجة إلى حسم الأزمة السورية "
http://www.infosalam.com/home/researches/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%8A%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D9%8A%D8%B3%D8%AA-%D8%A8%D8%AD%D8%A7%D8%AC%D8%A9-/%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%AD%D8%B3%D9%85-%D8%A7

البيت الأبيض لقوات سورية الديمقراطية وقوامها الأساسي هو قوات كوردية قريبة من حزب PKK الكوردي المحظور في تركيا.

لكن رغم كل هذا التوتر، فإن الولايات المتحدة الأميركية وتركيا تدركان جيدا، أن لا غنى لأي منهما عن الآخر؛ فتركيا تشكل ثاني أكبر جيش في حلف الناتو من حيث العدد بعد الجيش الأميركي، وتركيا أيضا هي بوابة وممر أوروبا إلى آسيا والشرق الأوسط، وهي حليف اقتصادي كبير للأميركيين والأوروبيين؛ كذلك فإن البنية الاقتصادية والعسكرية التركية لا يمكنها بأي شكل التخلي عن علاقاتها التاريخية الضخمة مع الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأميركية، مهما حاولت تنويع شركائها نحو الشرق في آسيا[21].

فللولايات المتحدة الأميركية مصالح مباشرة في استخدام الورقة الكوردية في وجه تركيا، عند الخلافات التكتيكية وعلى المدى القصير، لكن ليس لها مصلحة في معاداة تركيا، وحشر تركيا مع إيران، العدو الأقوى للولايات المتحدة في المنطقة، في خندق واحد؛ وبمقياس الربح والخسارة، ما هو الربح الأميركي من دعم حقيقي قوي لدولة كوردية مستقلة ضد إرادة تركيا وإيران معا؟ فلم تثبت الطبقة السياسة الكوردية في تجربة إقليم كوردستان أنها قادرة على إنشاء دولة مستقرة قوية داخليا بما يكفي، بحيث يمكن للأميركيين الاطمئنان لوضع كل بيضهم في سلتها، وكذلك فإن تكاليف دعم هذه الدولة ضد رغبة الإقليم وروسيا أيضا ستكون ماديا باهظة، ولا يوجد ما يدل على أنها ستستطيع استردادها سياسيا أو ماديا، هذا عدا عن أن الولايات المتحدة قد اكتسبت خبرة خوض حروب معقدة عن بعد، وتعلم أن النتائج غير مضمونة في مثل هذه الحالات.

7.5 المصالح الروسية

تنطلق المصالح الروسية من مصالح روسية ذاتية ومن مصالح الصراع الدولي الأشمل، فروسيا تعتبر إيران حليفا استراتيجيا لا يجوز السماح بإضعافه وتهديده، وبالتالي هي تدعم الموقف الإيراني في كوردستان ضمنيا.

من الناحية الروسية ذاتها، ما زالت مشاكل الأقليات القومية والدينية في جنوب روسيا الاتحادية، وخاصة منطقة القوقاز، مصدر قلق وأزمات كامنة للحكومة الروسية، ولعل تخلصها من أكثر من 4000 مقاتل إسلامي أتوا إلى سورية[22]، لدعم داعش من أقاليم روسيا الاتحادية يظهر حساسية انتشار فكرة استقلال القوميات الأقلوية في دول كبيرة.

---

[21] للمزيد حول العلاقات التركية الغربية، ونفي اسطورة المؤامرة الغربية على تركيا يمكن الاطلاع على دراسة " السياسة التركية بين الواقع والخيال " على موقع الاتحاد برس
http://aletihadpress.com/2017/03/19/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A9-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%82%D8%B9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%8A%D8%A7%D9%84/

[22] مقال "تصدير الجهاديين من روسيا" عن تقرير مجموعة الأزمات الدولية في بروكسل تحت نفس العنوان.
http://www.infosalam.com/home/researches/%D8%AA%D8%B5%D8%AF%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%87%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D9%8A%D9%86-%D9%85%D9%86-%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A7/

8 السيناريوهات المستقبلية

إن لم يتم تأجيل موعد الاستفتاء إلى أجل بعيد، وتم إجراؤه كما هو مخطط في 25 أيلول/سبتمبر، فمن المستبعد جدا أن يتم رفض الاستقلال عن العراق في المناطق الأساسية للاستفتاء بما فيها كركوك.

سنعتمد في بناء سيناريوهات المستقبل القريب، على فرضية أن نتيجة الاستفتاء كانت إيجابية في محافظات السليمانية وأربيل ودهوك وكركوك، وبغض النظر عن بقية المناطق التي سيجري فيها الاستفتاء؛ كذلك سنعتمد أساسا على الحقائق الموضوعية في إقليم كوردستان والعراق ودول الجوار والعلاقات الدولية، ووفق منطق المصالح والتحالفات القائمة في وفوق المنطقة.

المواقف والقوى الأكثر تأثيرا بما قد يحصل مستقبلا بعد النتيجة الإيجابية للاستفتاء، هي المواقف التركية أولا، والإيرانية والروسية ثانيا، والأميركية ثالثا والعراقية رابعا؛ وضع تأثير موقف الحكومة العراقية من حيث الأهمية بعد بقية الأطراف، يأتي لكون موقفها مرتبط جوهريا بالموقف الإيراني والأميركي، ولا يمكنه مغادرتهما؛ ووضع الموقف الأميركي ثالثا بعد تركيا وإيران، يأتي من حقيقة أن الولايات المتحدة الأميركية لن تغيّر استراتيجيتها التي اتبعتها في سورية والمنطقة وهي إدارة الأزمة وليس التدخل المباشر العميق بها، كذلك فإن الموقف الأوروبي سيبقى في نفس سياق الموقف الأمريكي استراتيجيا؛ أما وضع الموقف الروسي مع الإيراني، فذلك لكون روسيا أيضا لن تغيّر استراتيجيتها في العراق عنها في سورية، من حيث التحالف مع إيران، بل في العراق ستكون أكثر انسجاما مع السياسة الإيرانية.

8.1 سيناريو المراوغة

يطرح العديد احتمال أن ينتظر السيد البارزاني لآخر لحظة، ليعلن تأجيل الاستفتاء لاستكمال المشاورات حوله، والإعدادات اللوجيستية؛ وهذا الاحتمال ممكن ضمن هذه الظروف، وبهذه الحالة سيأمل سياسيو الإقليم أن إثارة موضوع كردستان، ودفعه إلى السطح أمام حكومات الدول المتورطة في المنطقة، سيؤدي لمكاسب مهمة لهم أمام حكومة بغداد.

هناك احتمال جيد أن تستفيد حكومة الإقليم من مناورة تأجيل الاستفتاء، فقد تدفع إيران وتركيا والولايات المتحدة الأميركية للضغط على حكومة بغداد، لكي تبدي الأخيرة مرونة أكبر مع الإقليم، وتقدم تنازلات محسوسة في مفاوضاتها مع حكومة الإقليم.

لكن هذه الاستفادة، ستبقى مشروطة بكمِّ الثقة المتبقي لدى الحكومة التركية والإيرانية، بأن حكومة الإقليم لن تعود بعد ست شهور أو سنة إلى نفس النقطة. وقد تجد حكومة بغداد بهذه الحالة أن موقف إقليم كوردستان قد أصبح أضعف في المفاوضات.

نتائج هذا السيناريو تعتمد على حصافة القيادتين السياسيتين في بغداد وأربيل، وعلى مواقف إيران وتركيا بشكل أساسي، فالولايات المتحدة الأميركية ستبقى تراقب وتدير، وروسيا ستبقى خلف السياسة الإيرانية.

8.2 السيناريو التصادمي

المقصود به أن الأحداث ستسير وفق الحقائق الموضوعية القائمة، ووفق الموقف والاستراتيجية المعروفة للدولة ذات الصلة، وما يتعلق بها من تصريحات سياسية، وبفعل تصادمي مع إعلان الاستقلال.

8.2.1 الرد التركي

تاريخيا ومع كل الحكومات التركية المتعاقبة منذ إنشاء الجمهورية التركية، هناك خط سياسي لم يتغير جوهريا يشملهم جميعهم، وهو الحساسية والتخوف المفرط من القضية الكوردية؛ وغالبية هذه الحكومات اتخذت مواقف متشددة وعنيفة ضد مطالب الكورد في تركيا.

بعد تجربة تركيا الأخيرة في الأزمة السورية، ودعم الولايات المتحدة الأميركية للكورد في سورية، وتفاهم الروس معهم، توصلت الحكومة التركية إلى قناعة أن حماية سياستها تجاه الكورد يجب أن يأتي من خلال تركيا فقط، ولا يمكن الاطمئنان للمواقف الدولية حوله؛ فاتخذت تركيا خطوات حاسمة وإن كانت بطيئة ومتدرجة لمنع احتمالية قيام كيان كوردي سوري مشابه لكوردستان العراق على طول حدودها مع سورية.

حسبما هو واضح للآن، فإن إعلان الاستقلال لكوردستان العراق، لو حصل، فهو لن يحظَ بدعم وحماية من دول مجلس الأمن الدائمين؛ كذلك فإن إيران ذات موقف متشدد مثل تركيا، وستجدها تركيا فرصة مناسبة لتعزيز تعاونها مع إيران، لتعويض خلافهما في سورية، وربما تخفيفه.

ستلجأ تركيا للبدء بفرض عقوبات اقتصادية متدرجة، بعد إعلان النتائج، وستصل لحد الحصار الاقتصادي إن تم الإعلان الرسمي عن الاستقلال، لأن تركيا تدرك اقتصاديا، أن مرابحها من علاقتها مع الإقليم لا توازي خسائرها الاستراتيجية والمعنوية في القضية الكوردية، ويمكن لها بسهولة نسبية تعويض خسائرها المادية، وحتى تعويض النفط المستورد من كوردستان، سواء من إيران أو روسيا أو غيرهم من مصدري النفط في العالم؛ لكن إغلاق الحدود التركية أمام إقليم كوردستان، سيخنق الإقليم اقتصاديا ويوجه ضربة مؤلمة جدا لاقتصاده المترنح أساسا؛ خاصة وأن هذه السياسة ستترافق مع سياسة إيرانية مشابهة من حيث القوة.

8.2.2 الرد الإيراني

الإيرانيون، كما أشرنا سابقا، متخوفون من التأثير المعنوي لاستقلال الإقليم، على الأقليات القومية في دولتهم ذاتها، وعلى الاضطرابات الممكنة في منطقة بحر قزوين بسبب التنوع القومي؛ والأهم بالنسبة لهم هو قوة حكومة العراق المركزية الموالية والمتحالفة معهم استراتيجيا؛ وتخوفهم الأكبر من اقتحام سعودي قوي لإقليم كوردستان.

بالتنسيق مع الحكومة التركية، ستلجأ الحكومة الإيرانية إلى فرض حصار اقتصادي أيضا على الإقليم، وبسبب تأثيرها الكبير على العديد من المليشيات الشيعية في العراق، وحتى استغلال المشاعر القومية العربية المتعصبة، يمكن لإيران أن تلعب بورقة حرب مليشيات لأسباب، غير مهمة جوهريا، لكنها كافية لنشر الفوضى على حدود الإقليم مع بقية العراق.

8.2.3 رد الحكومة العراقية

سيتسق الرد الرسمي العراقي مع موقفه الرافض أساسا لمناقشة هذا الموضوع، وسيستفيد لأقصى حد من الغضب الإيراني والتركي، وسيعزز من الحصار الاقتصادي، مع استغلال الظروف لتحريك الأقليات القومية وبعض الكورد ربما للمطالبة بالعودة إلى العراق.

8.2.4 الموقف الأميركي والأوروبي

لن يؤيد البيت الأبيض سياسات متشددة كهذه من قبل تركيا وإيران سياسيا، لكنه لن يستخدم القوة والتأثير الأميركي، في وجه الحكومة التركية، فهو لا يريد زيادة الغضب التركي الموجود أصلا لدى الحكومة التركية من السياسة الأميركية.

قد يحاول الأميركيون والأوروبيون مساعدة الإقليم من الناحية الاقتصادية، لكن لا يمكنهم فعل الكثير بسبب الواقع الجغرافي للإقليم المحصور بريا بثلاث دول غاضبة ودولة رابعة، سورية، تعيش أسوء أزماتها تاريخيا. لكنهم غالبا سيلجؤون للتدخل كوسطاء بين الأطراف، ونقل القضية إلى التدويل، والأمم المتحدة، حيث بكل الأحوال لا يحظى إعلان الاستقلال بما يكفي من دعم دولي.

8.2.5 احتمالية النزاع المسلح كنتيجة

هذا سيناريو قاسي الافتراضات، وبالتالي قد يؤدي خلال سنين قليلة إلى تصاعد حدة العنف، وربما حرب مفتوحة ولا يمكن التحكم بها.

لكن من المستبعد أن تبقى الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا وروسيا بهذه الحالة يراقبون، بل سيتحركون للجم توسع الصراع.

8.2.6 النتائج الإقليمية والدولية

إن سار هذا السيناريو وفق هذه الفرضيات، فهو سيزيد من اشتعال أزمات المنطقة، بما فيها سورية، وقد يصل إلى منطقة بحر قزوين. وستجد الحكومات الإقليمية ذات الموقف الحيادي شكلا مثل دول الخليج ومصر نفسها مضطرة إلى اتخاذ موقف واضح، وبهذه الحالة ستحاول السعودية الدخول من باب كوردستان في صراعها المستمر مع إيران فوق سورية واليمن، وكذلك جفاء علاقاتها مع تركيا.

8.3 السيناريو المرن

ينطلق أيضا وفق المسارات التاريخية والواقع الموضوعي الحالي، لكن هذا السيناريو يفترض حذرا أكثر من قبل الدول الإقليمية، تركيا وإيران، بسبب وضعهما الاقتصادي والسياسي المتأزم أساسا.

8.3.1 الرد التركي

ستلجأ الحكومة التركية ضمن هذا السيناريو، إلى ممارسة الضغط السياسي على الإقليم، من خلال الأمم المتحدة، وعلاقاتها السياسية الدولية لمنع الاعتراف الدولي بالإقليم؛ وبنفس الوقت ستفرض صعوبات على التعامل الاقتصادي مع الإقليم، وهو الأضعف اقتصاديا والمحتاج بشدة لتمرير نفطه وعائدات تصديره عبر تركيا، فما لم تعترف الأمم المتحدة باستقلال الإقليم، ويحظى بدعم الدول الغربية، لن تجرؤ البنوك الدولية على التعامل المباشر مع الإقليم في صفقات النفط.

لكن هذا السيناريو بالنسبة للحكومة التركية سيبقى ذا مدى زمني محدد، ما لم يستطع الإقليم تقديم ضمانات صعبة جدا، تخص منع تأثير استقلاله على كورد تركيا؛ والسؤال هو أية ضمانات ستمنع التأثير المعنوي على الأقل، وستستطيع التحكم بالحركة البشرية بين البلدين والمالية إن تحسنت العلاقات الاقتصادية لاحقا.

8.3.2 الرد الإيراني

من المستبعد أن يبدي النظام الإيراني مرونة تماثل ما افترضناه بالنسبة للحكومة التركية، سوى بضمانات وثقة كبيرة في السياسة التركية، وإدارتها للأزمة، أي أن الحكومة الإيرانية بهذه الحالة يجب أن تسلم عدة مفاتيح للحكومة التركية في قضية استقلال الإقليم، وتنتظر النتائج.

قد تطمئن الحكومة الإيرانية إلى أن الحكومة التركية لن تسمح للسعودية بالدخول الواسع والمؤثر في الإقليم، لأن علاقات البلدين، تركيا والسعودية، تميل للتوتر بعد الأزمة القطرية السعودية الأخيرة؛ لكن السؤال هل يكفي هذا للحكومة الإيرانية؟

بالواقع من المهم بالنسبة لإيران التنسيق الكامل مع تركيا في هذا الموضوع بالذات، وقد يمكن للأتراك ممارسة القيادة في هذا السيناريو.

8.3.3 الموقف الأميركي والأوروبي

هذا السيناريو سيناسب الموقف الأميركي والأوروبي، وسيسعيان حتى مع روسيا لدعمه وتشجيعه، وهي نقطة القوة في هذا السيناريو. لكن لأي حد سيستطيعون التنسيق والعمل الفعال معا، وتحسين التفاهم مع الحكومة التركية سيكون سؤالا قائما لمرحلة ليست قصيرة.

8.3.4 نتائج السيناريو المرن

لا يوجد ما يدعو لتوقع توسع ساحة العنف وفق هذا السيناريو، لأن كل الأطراف ملتزمة بتفهم الآخر ومصالحه. وإقليميا لن يكون له تأثير كبير، ربما يؤدي إلى ترسيخ قناعة الأحزاب الكوردية السورية بضرورة التمسك بمبدأ وحدة الأراضي السورية مهما كانت النتائج.

8.4 السيناريو المتفائل

وهو عمليا يماثل ما يفترضه القادة السياسيون في إقليم كوردستان، ويعولون عليه في إنجاح نتائج الاستفتاء.

فوفق هذا السيناريو، سيستطيع قادة الإقليم إقناع وطمأنة طهران وأنقرة، إلى أن حكومة الإقليم ستضمن مصالحهم كافة، وستطلب مساعدتهم في التوصل لتفاهم مع حكومة بغداد، خاصة بما يتعلق بإقليم كركوك وتقسيم عائدات النفط. ولن يتغير شيء وفق هذا السيناريو في علاقات الإقليم مع تركيا ولا إيران، وبالتالي سيستطيع الإقليم تصدير نفطه وغازه عبر تركيا، ويحقق مرابح اقتصادية تضمن له أداء اقتصاديا جيدا تدعم استقلاله.

بهذه الحالة لن تعارض الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا وروسيا هذه التفاهمات، بل سيشجعونها، والاستفادة منها اقتصاديا.

واقعيا وموضوعيا، من غير الواضح ما هي أسباب ومعطيات القيادة السياسية الكوردستانية للاطمئنان لهذا السيناريو، هل هي تفاهمات سرية مع تركيا؟ من الصعب تخيل ذلك، فهذه التفاهمات بين الدول تحتاج لتاريخ طويل من الثقة المتبادلة.

8.5 سيناريو الحرب عن بعد

بهذه الحالة ستسلم الحكومة التركية الأوراق للحكومة الإيرانية، التي تملك تأثيرا وسلطة كبيرة داخل العراق والمليشيات العربية الشيعية، وحتى التواصل مع القوى العربية السنية، لتحريض حرب داخلية على حدود إقليم كوردستان، لاستنزاف الإقليم وموارده.

لكن من المستبعد أن تلجأ الحكومتان لهذه المغامرة، بعد كل هذه المتاعب التي واجهتاها في سورية خلال السنين السبعة الماضية، فالحكومة الإيرانية مستنزفة عسكريا وسياسيا واقتصاديا في الحرب التي تشنها فوق الأراضي السورية، وليس من مصلحتها حاليا تشتيت جهودها في العراق، خاصة أنها تملك البدائل القوية اقتصاديا وسياسيا بالتنسيق مع تركيا.

8.6 السيناريو العنيف

يقول البعض أن تركيا وإيران قد يتدخلان عسكريا في الإقليم إن تم إعلان الاستقلال رسميا، ويفرضان على الإقليم العودة الكاملة إلى سيطرة حكومة بغداد.

لكن هذا السيناريو مستبعد جدا، فكلا الدولتين تملكان أدوات كثيرة مؤلمة جدا يمكن استخدامها دون الحاجة للتورط العسكري في حرب قد تشعل حروبا أخرى، وقد تتطلب خسائر مادية وبشرية هائلة، فالإقليم ليس ضعيفا عسكريا، ربما هو أضعف من الدولتين الأقوى بالمنطقة، لكن خصم عسكري عنيد كما أثبت التاريخ الطويل؛ والأهم أن هذا التحرك العسكري سيقابل بغضب أميركي وأوروبي كبير، وأيضا من غير المرجح أن تدعمه روسيا.

بالواقع لا يوجد أي معطيات تقول إن تركيا أو ايران أو كلاهما سيلجآن لحرب عسكرية مباشرة مع الإقليم.

8.7 الخلاصة

تبدو السيناريوهات المحتملة كثيرة، لكن جميع المؤشرات ترجح كفة ما سميناه السيناريو المرن أو السيناريو التصادمي، أو سيناريو خليط من الاثنين، وللآن لم توضح الحكومة الكوردستانية ما هي خطط الطريق التي تحملها بجعبتها لمواجهة كل الاحتمالات، من أسوئها إلى أحسنها.

الشكل 3 يبين رسما بيانيا لمختلف هذه السيناريوهات، وفق مستوى الرد المتوقع من قبل حكومات تركيا وإيران والولايات المتحدة الأميركية وتقاطعاتهم مع بعض، وفق احتمالات كل رد كنسب مئوية. حيث يمكن عموما توزيع الرد لأي دولة على نتائج الاستفتاء الإيجابية إلى سبع مستويات هي:

1- موقف رافض بقوة، مع تدخل عسكري مباشر؛
2- موقف رافض بقوة، مع تدخل عسكري غير مباشر؛
3- موقف رافض بقوة، مع حصار اقتصادي وسياسي؛
4- موقف رافض، مع عقوبات اقتصادية وسياسية؛
5- موقف رافض مناور، مع تخفيض العلاقات الاقتصادية؛

6- موقف حيادي منتظر للمستقبل؛
7- موقف إيجابي؛
8- موقف إيجابي داعم بقوة.

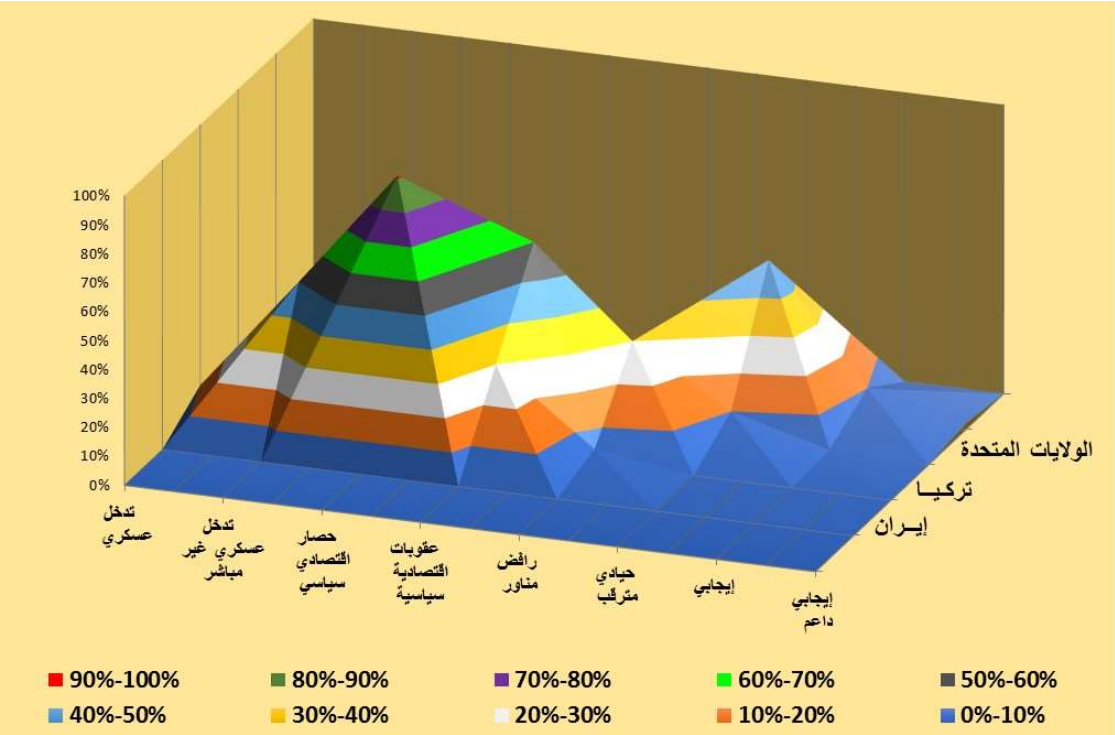

الشكل 3 مخطط بياني لمختلف السيناريوهات الممكنة إذا تمت الموافقة الشعبية على استفتاء استقلال إقليم كوردستان العراق، وفق مستويات ردة فعل حكومات الدول ذات العلاقة والتأثير المباشر على المنطقة، ووفق احتمالات مقدرة بالنسب المئوية. حيث من الواضح أن السيناريو الأكثر احتمالا هو الدخول في حالة حصار أو عقوبات اقتصادية تجاه الإقليم من قبل إيران وتركيا، مع موقف حيادي أميركي.

9 كوردستان والحرب على الإرهاب وداعش

الجميع ومن كل الأطراف المتصارعة في هذه المنطقة يعلن براءته من داعش، وأن هدفه الأهم هو محاربتها والقضاء عليها. وقد كان للقوات الكوردية سواء في العراق أو سورية النصيب الأكبر في مواجهة داعش وإيقاف تمددها، ثم حصارها وتحجيمها، وبهذا قدموا خدمة كبيرة لشعوب المنطقة، وربما يكون الكورد هم الوحيدون البريئون حقيقة من تقديم أي دعم لداعش بشكل مباشر أو غير مباشر.

لكن من ناحية ثانية، فكل سياسيي المنطقة والدول الكبرى يدركون أن داعش هي حصان طروادة في هذه المنطقة، جميع الحكومات سهلت نشوئها وتمويلها وتضخمها، ثم عادت جميع الحكومات لتحاربها وفق مصالحها.

فمن السذاجة تصديق أن داعش هبطت من السماء فجأة، وتوسعت بهذا الشكل الدراماتيكي خلال فترة قصيرة، ومن السذاجة تصديق أن الحكومات الأميركية والتركية والروسية والإيرانية والخليجية، بهذه السذاجة وسلامة النوايا وقلة الخبرة، بحيث أنها لم ترَ داعش تتقدم منذ 2012.

وما يعلنه الأميركيون الآن مثلا، عن أن توقيت الاستفتاء يسيء لجهودهم المركزة على حرب داعش، هو مجرد إعلان إعلامي للشارع الأميركي، وليس السبب الجوهري. للمزيد حول موضوع داعش والسياسة الأميركية يمكن الرجوع للدراستين (22) و([23]).

10 الخاتمة

هل سينتظر سياسيو إقليم كوردستان إلى آخر لحظة ويعلنوا تأجيل الاستفتاء؟ هذا احتمال وارد مع ردود الفعل الدولية السلبية تجاه توقيت الاستفتاء ونوعه؛ وربما يكون هذا الإعلان هو عملية تحريك احتاجها الإقليم بعد تعمق مشاكله مع حكومة بغداد، والحاجة لتغيير دراماتيكي ضخم على ساحة التوازنات العراقية والإقليمية.

لكنه إن استمر الحال وفق ما هو مخطط ومعلن عنه، فقد تتوجه إيران وتركيا إلى تفعيل معاهدة الصداقة الموقعة عام 1926 بين البلدين والتي تتضمن التعاون الكامل ضد أي مجموعة ضمن الدولتين تهدد وحدة وسلامة وحكومة أيا من الدولتين أو الحدود بينهما. وبهذه الحالة لا يوجد مصالح غربية كبيرة تدفع الغرب لتبني قضية كوردستان كما هي معلنة في هذا الوقت.

لم يوضح القادة السياسيون في إقليم كوردستان، كيف سيواجهون احتمالات الردود الإيرانية والتركية والعراقية، خاصة من الناحية الاقتصادية؛ ولا كيف سيتعاملون بهذه الحالة مع الوضع الاقتصادي المتأزم في الإقليم أساسا؛ كل ما قيل يصب في نطاق الكلام العاطفي والحماسي، ونقاشات المبادئ القانونية والأخلاقية في العلاقات الدولية، وهذه لا علاقة لها بالصراعات الدولية لا تاريخيا ولا حاضرا؛ ورغم صلابة الحلم الكوردي بامتلاك حق تقرير مصيره، وما أظهره الكورد تاريخيا وحاليا من شجاعة ومقاومة، إلا أن الكورد هم مثل غيرهم من شعوب ليسوا ملايين من الناس الخارقة التي ستحتمل تأزم الوضع الاقتصادي، كما أشار السيد البارزاني في مقابلته مع الفورين بوليسي (16)[24]. قد يحمل المستقبل مفاجآت أو انقلابات بالمواقف، لكن ذلك غير محتمل ضمن الصراع الدولي الواسع، فلم تحصل تاريخيا هذه المفاجآت الكبرى، عندما تعلق الأمر بمناطق شديدة الأهمية والحساسية.

---

[23] مقال بعنوان "داعش حصان طروادة"
http://www.infosalam.com/home/articles/%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4%D8%8C-/%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82

[24] جاء في مقابلة البارزاني مع فورين بوليسي ما ترجمته التقريبية:
"نفضل أن نموت جوعا على أن نعيش تحت ظلم واحتلال الأخرين. إذا تم اتخاذ هذا القرار (استقلال كوردستان) عبر الاستفتاء وكانت ردة الفعل هي عزلنا، فلندع شعبنا يموت. ذلك سيكون "فخرا" (من قبيل السخرية السوداء) للعالم لأنه قتل شعبنا جوعا فقط لأن هؤلاء الناس أرادو التعبير عن إرادتهم بوسائل ديمقراطية"
الأصل الإنجليزي: " We would prefer to die of starvation than to live under the oppression and occupation of others. If this decision is made by referendum and the reaction is to isolate us, let our people die. That will be a “glory” for the world that they have killed our people by starvation just because those people wanted to express their destiny through democratic means".

11 المراجع

1- موقع رئاسة إقليم كوردستان، تحديد موعد الاستفتاء على استقلال الإقليم
http://www.presidency.krd/english/articledisplay.aspx?id=E8ZKw7ev=ZVQ

2- وزارة المصادر الطبيعية – حكومة إقليم كردستان
/http://mnr.krg.org/index.php/en

3- تقرير معهد أكسفورد لدراسات الطاقة "تحت الجبال: النفط الكردي والسياسات الإقليمية" – كانون ثاني/يناير 2016
Under the Mountains: Kurdish Oil and Regional Politics
Oxford Institute for Energy Studies ,ISBN 978-1-78467-049-8

4- مقابلة مع الرئيس مسعود برازاني في حزيران/يونية 2017
http://foreignpolicy.com/2017/06/15/masoud-barzani-why-its-time-/for-kurdish-independence

5- تقرير شبكة روورداو تحت عنوان "مستويات المعيشة في كردستان أقل منها في بقية العراق لأول مرة"
http://www.rudaw.net/english/kurdistan/31082016

6- تقرير عن كردستان العراق بعنوان "تقرير 2016 عن كردستان العراق: الركود الاقتصادي الكبير"
"Iraqi Kurdistan Economic Report 2016: Kurdistan's Great Recession"
http://www.marcopolis.net/iraqi-kurdistan-economic-report-2016-kurdistan-s-great-recession.htm

7- تقرير مجلة المونيتور الفرنسية في بداية 2016 بعنوان: هل يسير إقليم كردستان العراق نحو الإفلاس
http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2016/01/turkey-iraq-kurds-cash-crisis-derail-battle-against-isis.html

8- رسالة الرئيس العراقي السابق جلال الطالباني إلى الشعب الأميركي، 2006.
http://ekurd.net/mismas/articles/misc2006/9/government780.htm

9- مقال صادر عن مجموعة Invest in Group (IIG) الاستشارية، ذات النشاط الواسع في كوردستان. شباط/فبراير 2015
http://investingroup.org/analysis/195/turkey-the-kurdistan-regions-largest-trading-partner-kurdistan/

10- تقرير صادر عن مجلس كردستان الاستثماري
http://www.kurdistaninvestment.org/trade_industry.html

11- موقع رئاسة إقليم كوردستان: تصريح رئيس ديوان رئاسة إقليم كوردستان حول الأمر الإقليمي الصادر من قبل الرئيس بارزاني بشأن إجراء الإستفتاء
http://www.presidency.krd/arabic/articledisplay.aspx?id=vgaX9pr4fc=U

12- قناة الحرة: انقسام داخل كردستان العراق حول استفتاء تقرير المصير
https://www.alhurra.com/a/Kurdistan-referendum/387305.html

13- قناة العالم الإيراني يشن حملة تشكيك حول علاقة السعودية والإمارات العربية المتحدة عبر كوردستان بداعش: " المهندس: قنصلا السعودية والإمارات في كردستان يدعمان "داعش""
http://www.alalam.ir/news/2003772

14- الصحافة الإسرائيلية: السعودية دعمت استفتاء كوردستان مباشرةً ويمكن أن تدعمه دولٌ سُنيةٌ أخرى – شبكة رووادو
http://www.rudaw.net/arabic/kurdistan/120820176

15- مقال بعنوان "داعش حصان طروادة"
http://www.infosalam.com/home/articles/%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4%D8%8C-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7-/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82

16- مسعود بارزاني لـ «الأهرام»: استفتاء كردستان هدفه الاستقلال..ولانحتاج إلى استئذان من أي طرف - جريدة الأهرام - 10 أغسطس 2017
http://www.ahram.org.eg/NewsQ/607883.aspx

11.1 انقسام الإعلام العربي ما بين التيار القطري والسعودي في تناول موضوع كوردستان

11.1.1 التيار القطري

1- استفتاء انفصال إقليم كردستان العراق برعاية إماراتية - العربي الجديد - 9 يونيو 2017 https://www.alaraby.co.uk/politics/2017/6/8/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%81%D8%AA%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%86%D9%81%D8%B5%D8%A7%D9%84-%D9%83%D8%B1%D8%AF%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D9%86-%D8%A8%D8%B1%D8%B9%D8%A7%D9%8A%D8%A9-%D8%A5%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%A9

2- استفتاء إقليم كردستان: المسافة بين الحلم والواقع! – القدس العربي http://www.alquds.co.uk/?p=713819

3- الجوار يرفض انفصال كردستان ما موقف الخليج؟ - العرب القطرية http://alarab.qa/story/1206872/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%88%D8%A7%D8%B1-%D9%8A%D8%B1%D9%81%D8%B6-%D8%A7%D9%86%D9%81%D8%B5%D8%A7%D9%84-%D9%83%D8%B1%D8%AF%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D9%86-%D9%85%D8%A7-%D9%85%D9%88%D9%82%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%84%D9%8A%D8%AC

11.1.2 التيار السعودي

1- " أن أكون أنا العربي مع حق الأكراد في دولة مستقلة" – جريدة الحياة - 03 أيلول 2017

http://www.alhayat.com/m/opinion/23819090#sthash.XhTlraKz.mWJkttdb.dpbs

2- " الحلف التركي الإيراني المقدس ضد الحلم الكردي" – العرب اللندنية - 26/08/2017

http://www.alarab.co.uk/article/%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%A1/117443/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%84%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%8A-

%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%AF%D8%B3-%D8%B6%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D8%AF%D9%8A

3- " شرقٌ أوسطُ يعيد التشكل" – الشرق الأوسط - 27 أغسطس 2017

https://aawsat.com/home/article/1009196/%D8%B9%D8%A8%D8%AF%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87-%D8%A8%D9%86-%D8%A8%D8%AC%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AA%D9%8A%D8%A8%D9%8A/%D8%B4%D8%B1%D9%82%D9%8C-%D8%A3%D9%88%D8%B3%D8%B7%D9%8F-%D9%8A%D8%B9%D9%8A%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B4%D9%83%D9%84